

قافية الجيم

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي، ويذكر وقعته بالخرمية: [من البسيط]

أَبَى فَلَا شَنْبَا يَهْوَى وَلَا فَلَجَا وَلَا إِحْوَارًا يُرَاعِيهِ وَلَا دَعَجَا^(١)
كَفَى فَقَدْ فَرَجَتْ عَنْهُ عَزِيمَتُهُ ذَاكَ الْوَلُوعَ وَذَاكَ الشَّوْقَ فَإِنْفَرَجَا^(٢)
كَانَتْ حَوَادِثُ فِي مَوْقَانٍ مَا تَرَكْتُ لِلْخُرْمِيَّةِ لَا رَأْسًا وَلَا ثَبَجَا^(٣)
تَهَضَّمَتْ كُلُّ قَرْمٍ كَانَ مُهْتَضِمًا وَفَتَحَتْ كُلُّ بَابٍ كَانَ مُرْتَبَجَا^(٤)
أَبْلِغْ مُحَمَّدًا الْمُلْقِيَ كَلَاكِلَهُ بِأَرْضٍ خُشٍّ أَمَامَ الْقَوْمِ قَدْ لُبِجَا^(٥)
مَا سَرَّ قَوْمَكَ أَنْ تَبْقَى هُمْ أَبَدًا وَأَنْ غَيْرَكَ كَانَ اسْتَنْزَلَ الْكَذَجَا^(٦)
لَمَّا قَرَا النَّاسُ ذَاكَ الْفَتْحَ قُلْتُ هُمْ وَقَائِعَ حَدَّثُوا عَنْهَا وَلَا حَرَجَا^(٧)
أَضَاءَ سَيْفُكَ لَمَّا اجْتَثَّ أَصْلُهُمْ مَا كَانَ مِنْ جَانِبِي تِلْكَ الْبِلَادِ دَجَا^(٨)

- (١) النشب: رقة الثغر. الفلج: تباعد ما بين الأسنان. الحور: اشتداد بياض العين وسواد سوادها. الدعج: سواد العين مع سعتها.
- (٢) الولوع: الحب الشديد. يقول في البيت (١ و ٢): لقد أبى الممدوح أن يجري وراء الجمال، فلا حاجة بك لأن تعذليه لأن عزيمته صرفته عن هواه إلى واجبه..
- (٣) موقان: موضع. الخرمية: فرقة من الإسماعيلية كان زعيمها بابك، وهذه الفرقة لم تكن تراقب دينًا، ولا تحظر على أنفسها شيئًا مما يحظره الشرع. الشيج: الظهر. يريد أنهم استؤصلوا.
- (٤) تهضمت: اغتصبت، أو ظلمت. القرم: السيد. المرتج: المغلق. هذه الحوادث اغتصبت كل ظالم وفتحت كل حصن مغلق.
- (٥) ألقى كلاكله: يريد احتل أرض خش، ومفرد الكلاكل كلكل: وهو الصدر. ليح: ألقى نفسه على الأرض من تعب، أو مرض. يقول: لقد أوقد العدو في هذه الحرب نارًا في طريق ضيق ليمنع محمد بن يوسف عن المسير، فلبس ثياب النفاطين على الحديد ورمى بنفسه على النار.
- (٦) استنزل الكذج: أي استنزل أهل الكذج وهو موضع. يريد أن قومك على جبههم لك ما كان ليسرهم أن تخذل أنت، ويتولى الفتح غيرك.
- (٧) قرا: مخففة من قرأ. لا حرج: أي لا إثم عليكم إن حدثتم عن هذه الوقائع، فكل ما تقولونه فيها حق.
- (٨) اجتث: قطع. دجا: أظلم. أي لما اجتث أصلهم، أضاء سيفك ما كان دجا في تلك البلاد.

مِنْ بَعْدِ مَا غَوِذَتْ أَسْدُ الْعَرِينِ بِهِ
 لَا تَعْدَمَنَّ بَنُو نَبْهَانَ قَاطِبَةً
 إِنْ كَانَ يَأْرَجُ ذِكْرٌ مِنْ بَرَاعَتِهِ
 وَيَوْمَ أَرَشَقُ وَالْأَمَالَ مُرْشَقَةً
 أَرْضَعْتَهُمْ خِلْفَ مَكْرُوهِ فَطَمَتَ بِهِ
 اللَّهُ أَيَّامَكَ اللَّاتِي أَغْرَتَ بِهَا
 كَانَتْ عَلَى الدِّينِ كَالسَّاعَاتِ مِنْ قِصْرِ-
 أَصْبَحَتْ تَدْلِفُ بِالْأَرْضِ الْفَضَاءَ لَهُ
 عَادَتْ كِتَابُئِهِ لَمَّا قَصَدَتْ لَهَا
 لَمَّا أَبَوْا حُجَجَ الْقُرْآنِ وَاضِحَةً
 أَقْبَلْتَهُ فَخَمَةً جَأْأَاءَ لَسْتَ تَرَى
 يَتْبَعَنَّ قَسْرًا رَعَا الْفِتْنَةَ الْهَمَجَا
 مَشَاهِدًا لَكَ أَمَسَتْ فِي الْعُلَى سُرُجَا^(١)
 فَإِنْ ذَكَرَكَ فِي الْآفَاقِ قَدْ أَرَجَا
 إِلَيْكَ لَا تَتَّبِعْ عَنكَ مُنْعَرَجَا^(٢)
 مَنْ كَانَ بِالْحَرْبِ مِنْهُمْ قَبْلَهُ لَهْجَا^(٣)
 صَفَرَ الْهُدَى وَقَدِيمًا كَانَ قَدْ مَرَجَا^(٤)
 وَعَدَّهَا بِأَبِكَ مِنْ طَوْلِهَا حَجَجَا^(٥)
 نَصَبًا وَأَصْبَحَ فِي شِعْبِهِ قَدْ لَحَجَا^(٦)
 صَحَاحُضًا وَلَقَدْ كَانَتْ تُرَى لُحَجَا^(٧)
 كَانَتْ سُيُوفُكَ فِي هَامَاتِهِمْ حُجَجَا
 فِي نَظْمٍ فُرْسَانِهَا أَمْتًا وَلَا عِوَجَا^(٨)

(١) السرج، مفردها سراج.

(٢) أرشق: موضع. مرشقة: من قولهم: أرشقت المرأة أو الظبية رأسها: إذا أدامت النظر ومدت عنقها. تتبغى: تطلب. المنعرج: المنعطف.

(٣) الخلف: الضرع، استعاره للمكروه. لهج: ولع. أي: فطمت بهذا المكروه عن الحرب من كان منهم ولوعًا بتأجيلها.

(٤) أغرت: أحكمت قتل الضفر، والضفر: الحبل المضفور، استعاره للهدى. مرج: اضطرب. أي: رددت الأمور إلى نصابها من بعد ما اضطربت.

(٥) أراد: كانت قصيرة على الدين لظفر المسلمين بالكفار.

(٦) تدلف: تمشي رويدًا. نصبًا: من نصب لفلان الشر: أظهره، عاداه. لحج: علق. أي كنت تقصد بابك مباشرة، فيما كان يختبئ منك.

(٧) الضحاحض، مفردها ضحضاح: الماء القريب العمق. اللجج، مفردها لجة: معظم الماء. أي ظهرت كتائب بابك أمامك ضعيفة وكان يهدد بها ويتوعد.

(٨) أقبلته: استقبلته بكتيبة فخمة، أي كبيرة، كدراء اللون من الحدي؛ ويروى: وأقبلت فخمة جأأاء. الأمت: الانخفاض والارتفاع.

إِذَا عَلَا رَهَجٌ جَلَّتْ صَوَارِمُهَا
بِيضٌ وَسُمْرٌ إِذَا مَا غَمْرَةٌ زَخَرَتْ
نَزَالَةٌ نَفْسَ مَنْ لَاقَتْ وَلَا سِيَمَا
رَأْيُ الْحَمِيدَيْنِ أَلْقَحَتْ الْأُمُورَ بِهِ
لَوْ عَايَنَّاكَ لَقَالَا بِهِجَةً جَذَلًا
أَخْطَتْ بِالْحَزْمِ حَيْزُومًا أَخَاهِمِمْ
فَالْتَغَرُّ وَالسَّاكِنُوهُ لَا يَوْوُدُهُمْ
سَمَّوْا حُسَامَكَ وَالهَيْجَاءُ مُضْرَمَةٌ
إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرٍ - فَعَنْ قَدَرٍ
قَدْ حَلَّ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ مُعْنَقَةٍ
وَعَادِهِ بِسُيُوفٍ طَالَمَا شَهَرَتْ
وَالذُّبْلُ الزُّرْقُ مِنْهَا ذَلِكَ الرَّهَجَا
لِلْمَوْتِ خُضَتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْمُهْجَا
إِنْ صَادَفَتْ ثُغْرَةً أَوْ صَادَفَتْ وَدَجَا^(١)
مَنْ أَلْقَحَ الرَّأْيَ فِي يَوْمِ الْوَعَى نَتَجَا^(٢)
أَبْرَحَتْ أَيْسَرُ - مَا فِي الْعِرْقِ أَنْ يَشْجَا^(٣)
كَشَافَ طَخِيَاءَ لَا ضَيْفًا وَلَا حَرَجَا^(٤)
مَا عِشْتُ فِيهِمْ أَطَارَ الدَّهْرُ أَمْ دَرَجَا^(٥)
كَرَبَ الْعُدَاةَ وَسَمَّوْا رَأْيِكَ الْفَرْجَا^(٦)
تَنْجُو الرِّجَالُ وَلَكِنْ سَلَهُ كَيْفَ نَجَا^(٧)
فَانْجَحْتَ بِرَأْيِكَ فِي أَوْعَارِهَا دَرَجَا^(٨)
فَأَخْلَفْتَ مُتَرَفًا مَا كَانَ قَبْلَ رَجَا

- (١) نزالة : أي إن السيوف والرماح تنزل نفس من لاقت. الثغرة: نقرة النحر بين الترقوتين. الودج: عرق في العنق ينتفخ عند الغضب؛ عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة.
- (٢) أراد بالحميدين: حميد بن فحطبة وحميد الطوسي وكلاهما طائيان. نتج: أي نتج الصواب، واستعار الإلقاح والنتاج للحرب. وقوله: ألقح الرأي: أراد حسن التدبير.
- (٣) البهجة: السرور، ظهور الفرخ. الجذل: الفرخ. أبرحت: كلمة مدح بمعنى أحسنت، أتيت بالعجب. يشج: يتصل. يقول: لو عاينك الحميدان لقالا: إن أيسر ما يناله من له قريب محمود الخلق أو مذموه، أن يتصل ذلك العرق، فيكون فيه شيء مما في نسيبه.
- (٤) الحيزوم: وسط الصدر. الطخياء: الليلة المظلمة، وأراد بها الفتنة. الحرج: المكان الضيق. أي أحاط بالحزم ولم يضيق صدرك بالحزم ولم يضق بالفتنة والخطر.
- (٥) لا يؤودهم: لا يثقل عليهم. درج: انقرض. يقول: ما دمت حيًا، لن يخشى أهل الثغور نواب الدهر.

(٦) سموا: الضمير لساكني الثغر.

(٧) أبو نصر: بابك الخرمي.

(٨) معنقة: مرتفعة. وأراد بالدرج: السبيل إليها. أي اجتهد في الرأي لكي تصل إلى معقل بابك.

وَشَزِبَ مُضْمَرَاتِ طَالَمَا خَرَقَتْ
وَيُوسُفِيَّيْنِ يَوْمَ الرُّوعِ تَحْسِبُهُمْ
مِنْ كُلِّ قَرْمٍ يَرَى الْإِقْدَامَ مَأْذِبَةً
تَنْعَى مُحَمَّدًا الثَّائِي رِمَاحُهُمْ
قَدْ كَانَ يَعْلَمُ إِذْ لَاقَى الْحِمَامَ ضَحَى
أَنْ سَوْفَ تُهْدَى إِلَى آثَارِهِ بِهِمَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا هَذَا لَدَيْهِ إِذَا
لَوْ أَنَّ فَعَلَكَ أَمْسَى صُورَةً لَثَوَى

مِنْ الْقَتَامِ الَّذِي كَانَ الْوَعَى نَسَجًا^(١)
هُوجًا وَمَا عَرَفُوا أَفْنَا وَلَا هُوجًا^(٢)
إِذَا خَدَا مُعْلِمًا بِالسَّيْفِ أَوْ وَسَجًا^(٣)
وَيَسْفَحُونَ عَلَيْهِ عِبْرَةً نَشَجًا^(٤)
لَا طَالِبًا وَزَرًا مِنْهُ وَلَا وَحَجًا^(٥)
يُمْسِي- الرَّدَى مُسْرِيًا فِيهَا وَمُدْلَجًا^(٦)
مَا مَاتَ مُسْتَبْشِرًا- بِالْمَوْتِ مُبْتَهَجًا^(٧)
بَدَرُ الدُّجَى أَبَدًا مِنْ حُسْنِهَا سَمِجًا

(١) الشزب: الضوامر. القتام: غبار الحرب.

(٢) يوسفون: أي قوم من رهط الممدوح محمد بن يوسف. الهوج، مفردها أهوج: أي أن يركب الرجل الرجل رأسه بغير أناة ولا روية. الأفن: قلة العقل. أي لشدة إقدامهم تحسبهم هوجًا.

(٣) أراد بالمأذبة: أنه يرى إقدامه تلبية لدعوة. خدا: أسرع. الوسج: ضرب من سير الإبل.

(٤) يقول: إن رماح اليوسفيين تخبر بموت محمد، وهو رجل منهم قتل فأدركوا برماحهم ثأره. النشج: النشج: الغصص بالبكاء.

(٥) الوزر: المعتصم. الوحج: الملجأ.

(٦) آثاره، مفردها ثأر. البهم، مفردها هممة: الفارس الذي لا يدري كيف يؤتى له، كأنه قد أبهم أمره. يريد أن هذا القتيل كان يعلم بأنك سوف تهدي إلى الذين قتلوه جيشًا يأخذ بثأره.

(٧) لم يكن هذا لديه: أي لو لم يكن القتيل يعلم هذا، لم يسلم نفسه للموت مع قدرته على النجاة.

وقال يهجو يوسف السراج: [من الكامل]

أَمْسِكْ بَلِ اسْتَمْسِكْ لَوْ قَعِ هَيَاجِي
دَعْ مَا مَضَى - وَاسْتَأْنِفِ الْعَدَدَ الَّذِي
فَلَقَدْ أَجَمْتَ عَادَاوَتِي مَمْزُوجَةً
يَا ابْنَ الْحَبِيثَةِ لَا تُعَرِّضْ صَخْرَةً
أَصَبَحْتَ نِيَّ الْعَقْلِ فَاصِلَ بِمِيسَمٍ
مَا إِنْ سَمِعْتُ وَلَا أَرَانِي سَامِعًا
مَنْ كَانَ تَوَجَّحَ رَأْسُهُ فُلْيُوسُفٍ
حَرَنَ الزَّمَانَ بِهِ فَلَمَلَجَ كَشْحُهُ
لِلْمَرءِ فِي الْقُرْآنِ أَرْبَعُ نُسُوءٍ
بَيِضَاءٍ فِي بَيْضٍ يَطْفُنُ بِأَسْوَدٍ
مَا إِنْ أَشْبَهَ بَيْضَهُنَّ وَسُودَهُنَّ

فَلَتَسْأَمَنَّ عُذُوبَتِي وَأُجَاجِي^(١)
ضَيَّعْتُهُ يَا مُحْصِي - الْأَمْوَاجِ
وَلَأَسْعِطَنَّكَهَا بِغَيْرِ مِزَاجٍ^(٢)
صَمَاءٍ مِنْ مَجْدِي بِعَرَضِ زُجَاجٍ^(٣)
يُيْدِي أَلَجَّ النَّاسِ فِي الْإِنْضَاجِ^(٤)
حَتَّى الْمَمَاتِ بِشَاعِرِ سَرَاجٍ^(٥)
شُعْبٌ يَقْمَنُ لَهُ مَقَامَ التَّاجِ^(٦)
عَنْ شَرَكَةٍ فِي الْبَغْلَةِ الْهَمْلَاجِ^(٧)
وَلِتَلِكْ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْأَزْوَاجِ
فِي سُودٍ غَافِقَ مُحْصَدِي الْأَثْبَاجِ
إِلَّا تَيُوسًا أَجْفَلْتُ بِنَعَاكِ

(١) أجاجي: مرارتي.

(٢) أجمت: كرهت، من أجم اللبن: كرهه. أسعطه الدواء: أدخله في أنفه.

(٣) لا تعرض صخرة من مجدي: أي لا تعوض من مجدي بمتاع زجاج.

(٤) النّيء من اللحم: الذي لم ينضج. إصل: أمر من صلى النار: قاسى حرها، أو احترق بها. الميسم: الحديدة أو الآلة التي يوسم بها، يكوى بها.

(٥) السراج: صانع السروج وبائئها.

(٦) يهزأ به ويقول إن الملوك تلبس التيجان أما يوسف هذا فقد نبتت له قرون.

(٧) هملاج: مشى مشية سهلة وسريعة، وحسن سيره. الهملاج: البرذون الحسن السير. الكشف: ما بين السرة ووسط الظهر. وهو يقصد بالبغلة زوجة المهجو.

ما إن تَزَالَ هُمْ مَرَاوِدُ سَاسِمٍ مُتَغَلِّغَاتٌ فِي مَكَاحِلِ عَاجٍ^(١)
يا أَغِيرِ الثَّقَلَيْنِ غَيْرِ مَدَافِعٍ أَقْرَأَتْ نَسْخَةَ غَيْرَةِ الْحِجَابِ^(٢)

وقال يصف حال الخلاعة والقصف والشراب: [من الرمل المجزوء]

إِصْـمِرِي أَيْتُهَا النِّفْـ سُ فَـإِنْ الصَّـبْرَ أَحْجَى^(٣)
نَهْنَهِي الحُـزْنَ فَإِنَّ الـ حُـزْنَ إِنْ لَمْ يُنْهَ جَـ^(٤)
وَالْبَسِيـ الِـيَـأسَ مِنْ النـا سِ فَإِنَّ الِـيَـأسَ مَلْجَا^(٥)
رُبُّـمَا خَابَ رَجَاءُ وَأَتَى مَا لَيْسَ يُرْجَى
وَكِتَابُ كَتَبْتُهُ مُقْلَةً لَا تَنْهَجُ^(٦)
لَا تَرَى عَيْنُ رَقِيبٍ فِيهِ لِلْأَقْلَامِ نَجَا^(٧)
لَمْ يُبَحْ فِيهِ بِسْرُ لَا وَلَا أُدْرِجُ دَرَجَا^(٨)
فَأَجَابْتُهُ دُمُوعُ جُعِلْتُ لِلْكَأْسِ مَرْجَا

(١) متغلفات: ويروى: متغلفات. المارود، مفردا مروود: الميل يكتحل به. الساسم: شجر أسود، أو

الأبنوس، أو الشذى. العاج: ناب الفيل.

(٢) الثقلان: الإنس والجان.

(٣) أحجى: أجدر وأولى.

(٤) نهني: ازجري وكفي. لج: تمادى.

(٥) اليأس: قطع الأمل.

(٦) المهجة: الفؤاد، الروح؛ ويروى: مقلة.

(٧) الشج: سيلان الماء، ويريد هنا كتاباً كتب من غير مداد.

(٨) أدرج: أدخل، لف.

وَسَقِيمِ الطَّرْفِ قَدْ غَصَّ صَصَ بِالْهَجْرِ وَأَشْجَى^(١)
 زَارَنِي وَاللَّيْلُ قَدْ أَقْ بَلَّ نَحْوِي يَتَدَجَّى^(٢)
 حِينَ نَالَ الْعِلْجَ فِي سَوِ مَيِّ الَّذِي كَانَ تَرَجَّى^(٣)
 طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْنَا مِنْ دَنَانٍ تَتَوَجَّأُ^(٤)
 لَذَّةُ الطَّعْمِ تَمْجُّ ال مِسْكَ فِي الْأَقْدَاحِ مَجَّأُ^(٥)
 كَسَتْ الشَّيْخَ شَبَابًا فَكَتَسَى شِكْلًا وَغُنْجَا^(٦)
 فَقَضَّيْنَا مَنَسِكَ اللَّـ هِ وَإِنْ لَمْ نَنُوحِ حَجَّأُ

(١) الطرف: العين. أشجى: أحزن.

(٢) يتدجى: يظلم.

(٣) العالج: الرجل الضخم من كفار العجم. سومي: تكليفي، ويقصد المساومة على ثمن الخمر.

(٤) الدنان، مفردا دن: وعاء الخمر. تتوجى: من وجأ الدن: ثقبه بالمبزل.

(٥) تمج المسك: تقذفه.

(٦) الشكل: دلال المرأة وغنجها.